فكاهات

الكولونيل جيرار [1]

— ٥ —

لما فرغ الكولونيل جيرار من قصتهِ نظر الى الضباط فرأى على وجوههم بعض الانقباض فقال لاشك اني قدغممتكم بما اسمعتكم من الاحاديث المحزنة ولكني سأقصّ عليكم الآن حديثاً آخر من وقائعي الخاصة لا يتضمن شيئاً من تلك التذكارات فألقوا سمعاً

تتذكرون ولا شك ما قصصتهُ عليكم مراراً عن مباراتي الانكليز في صيد الثعلب وكيف سبقت كلاب الصيد جميعها حتى ادركتهُ وقطعتهُ بسيفي. ولا تعجبوا من رجوعي الى ذكر مثل هذه الالعاب الرياضية فانها بالحقيقة ذات لذة فائقة ويفتخر الانسان بذكر فوزهِ فيها اكثر من انتصارهِ في الحروب لانهُ في المواقع الحربية يكسب الفخر بمساعدة جنودهِ ومدافعهِ وخيولهِ واما في الالعاب الرياضية فينال الفائز غار الانتصار بجدّهِ الخاص من غير ان يعتمد على مساعد ولا عضد. ولا يوجد في الارض من يقدر هذه الالعاب حق قدرها اكثر من الامة الانكليزية التي فاقتنا كثيراً في هذا الباب وربما فعلت ذلك واشتهرت دون سواها لكونها اما اغنى او اكسل من سواها من الامم. وقد اختبرت الامر بنفسي ايام كنت اسيراً في تلك البلاد فوجدت ان الجواد السريع الركض والديك الذي يقاتل الاديك والكلب الذي يصطاد الجرذان والرجل الذي يحسن الملاكمة هو الذي يجلونهُ ويتباهون بهِ اكثر مما نتباهى نحن بمفاخر امبراطورنا

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

لما اسرني الانكليز وعلمت ذلك فرنسا سعت في فكاكي فاستبدلتني ببعض الاسرى الذين اسرتهم من الانكليز ولما أُطلق سراحي لبثت بضعة اشهر قبل ان تيسر لي الرجوع الى الوطن وكنت كل تلك المدة ضيفاً على اللرد رفتون في قصره الجميل شمالي دارتمور . اما خبر معرفتي هذا اللرد فهو انهُ لما سعى البوليس الانكليزي في امساكي في برنستون كان اللرد معهم فشعر نحوي بالانعطاف الذي كنت اشعر بهِ انا لو رأيت في بلادي جندياً شريفاً شجاعاً يقاد صاغراً بدون رفيق او صديق . فلما أُفرج عني اخذني الى قصرهِ وقدم لي طعاماً ولباساً وعاملني معاملة اخ . ولا انكر ان الانكليز لهم هذه المزية الحسنة وهي ملاطفة اعدآئهم وملاينتهم حتى في ابان الحرب . والشيء بالشيء يذكر فان الاسبانيول في الحرب المشهورة لما دنونا منهم اشرعوا في وجوهنا بنادقهم اما الانكليز فلما ارتددنا اليهم قابلونا بزجاجات الوسكي . ولكن كل ما يذكر عن ملاطفة الانكليز وكرم اخلاقهم لا يكفي لوصف مضيفي وحسن شمائلهِ . ولا اذكر تلك الضيافة الا ويعود الى مخيلتي تذكار الالعاب واسباب السرور التي حصلت عليها هناك فان اللرد كان مولعاً بتلك الرياضات واتقنها جميعها وقد شاركتهم في كلها وفقتهم في بعضها مع انني لم اتمرن عليها من قبل . وكان ورآء القصر غاب كثيف من الاشجار الباسقة يألفهُ طير السمانى وكان من جملة ملاهي اللرد ان يقصدهُ يومياً لاصطياد طيورهِ فيرسل خدمهُ الى الجهة الاخرى من الغاب ويجتهدون في سوق الطيور الى جهة القصر حيث يتربص اللرد واصحابهُ فكلما مرّ بهم طائر اطلقوا عليهِ بنادقهم وربما اصابهُ بعضهم فاسقطهُ . فلما اختبرت طبائع ذلك الطير ذهبت يوماً عند المسآء فرأيت الطيور تعود للمبيت فجعلت اصطادها ببندقيتي ولم اطلقها مرةً الا ويسقط طائر . ونبه صوت البارود البستاني فجآءني راجياً ان لا افني تلك الطيور فتوقفت واخذت ما اصطدتهُ فلما وضعتهُ على مائدة اللرد لم يصدق لاول وهلة انني اصطدت ذلك وحدي في يوم واحد وسرّ سروراً عظيماً حتى كادت تنحدر دموعهُ من شدة الضحك وهو يقول ان طال مكثك هنا يا جيرار لا يبقى في الغاب ريشة واحدة

وعندهم لعبة صيفية يدعونها كريكت وهي انهم ينصبون اوتاداً خشبية يضربونها

ثلاثةً ثلاثة في جهات مختلفة من ساحة اللعب فيقف كل من اللاعبين في جهة ويأخذ كرة خشبية يضرب بها خصمهُ بمنتهى القوة فيدفعها ذاك عنهُ بواسطة عصاً خشبية ه وكان اللارد و بستانيُّهُ يحسنان اللعب بها جدًّا فلما تعلمتها طلب مني اللارد ان ألعبها مع البستاني ووقف هو يتفرج علينا فوقفنا في مراكزنا وابتدأ البستاني فأخذ الكرة ورشقني بها ه ولا يخطر لكم ايها الاعزآء انها لعبة صبيانية فانها أهم مما تتصورون وانا جيرار الذي خاض غمار الحروب وصافح الموت مراراً بلا وجل لم املك نفسي من الارتعاش ولوني من الاصفرار حين مرّت الكرة بجانب وجهي مرور القنبلة بسرعةٍ لم اتمكن معها من رفع يدي بالعصا الخشبية ولو لم تخطئني الكرة لسقطت الى الارض ه فلما ملكت روعي وكانت قد جآءت نوبتي في الضرب اخذت كرةً اخرى وتذكرت ايام صبايَ حين كنت ارشق الحجارة على الطيور فظننت انني سأصيب البستاني من اول مرة ه فضربتهُ بالكرة فاندفعت من يدي كالرصاصة ولكنها لم تكد تصل اليهِ حتى تلقاها بعصاهُ فتغيرت وجهتها وارتفعت في الهوآء نحو عشرة امتار ه اما الكرة الثانية التي رشقتها فكانت اهم ومسحت شعر رأسهِ حتى رأيتهُ قد امتقع لونهُ كما أصابني في المرة الاولى ه غير ان الكرة الثالثة كانت غار النصرة لي فاني صوبتها الى صدرتهِ الحمرآء ودفعتها بما لي من القوة فرأيتها للحال قد اصابت صدرهُ فسقطت العصا من يدهِ وترنح خطوتين ثم سقط مع الكرة والاوتاد الى الارض ه فوقف اللارد يضحك مصفقاً بيديهِ ويقول لا شلت يمينك يا جيرار ه فعجبت من قساوة قلوب الانكليز في الالعاب مع لينها في غير ذلك واسرعت الى خصمي فرفعتهُ وجعلت اعتذر اليهِ ه ولكنهُ بقي بضعة ايام يشكو ألماً في جنبهِ وكان استيآؤهُ من الغلب اعظم من استيآئهِ من السقطة

وربما تهزأون الآن بشيخٍ نظيري يقص عليكم اعمالهُ الصبيانية ولكن لا شيء في حياة الانسان الذّ من ذكر ايام الصبى والشهرة التي يتركها من بعدها لانهُ بعد خمس سنوات من زيارتي هذه لانكلترا قابلت اللارد رفتون في باريس فصافحني وحقق لي انهم لا يزالون يذكرون جميع اعمالي ولا سيما ملاكمتي لواحدٍ من اصحابهم

اسمهُ بلدوك . ولا بأس ان اقصّ ذلك عليكم وهو ولا شك مما تسرون بهِ

اعتاد اللرد رفتون ان يجمع في قصرهِ مساء كل يوم عدداً من اصدقائهِ بينهم اللرد والسير والشريف وغيرهم من اصحاب الالقاب العالية فعرّفهم اللرد بي وعرّفني بهم وكنا نصرف الليالي معاً . وقد اختبرت اخلاقهم فوجدتهم منصبين على الملاهي والملذات لا شغل لهم سوى السكر والمقامرة واللعب والاعجاب بخيولهم وكلابهم وصيدهم وما شاكل ذلك . وكان بينهم المسمى بالشريف بلدوك وهو فتى في مقتبل الشباب ممتلئ الجسم قويّ البنية اشتهر بمهارتهِ في الملاكمة غير انهُ كان كثيراً ما يتكلم عن الفرنسويين ويهزأ بهم مما اثار غضبي حتى جافيتهُ في الكلام وتوصل الامر بيننا الى ان طلبتهُ للملاكمة قاصداً تعليمهُ درساً لا ينساهُ وكسر انفهِ بنفس القوة التي اشتهر بها . ولا انكر انني تسرعت في ذلك لانني لم اجرب الملاكمة قط حالة كونهِ هو قد اعتادها من صغرهِ غير ان دم الشباب دفعني الى محاربتهِ بسلاحهِ لاريهُ على الاقل ان الفرنسوي اذا لم يكن عالماً يكون شجاعاً . فمانع اللرد رفتون في ذلك كثيراً ولكن الباقين نهضوا فقالوا لا بد من اتمام الملاكمة ولا بأس من استعمال القفاز فيؤمن شرها والحوا على مضيفي فقبل . فاحضروا القفاز ولم اكن اعرفهُ من قبل فاذا هو قطع من الجلد الصفيق مبطّناً بالمطّاط يطبق الملاكم يديهِ فيلفونهما بذلك الجلد ويربطونهما ربطاً محكماً عند المعصم بحيث تصير ايدي المتلاكمين كالكرة ويُتّقى شر الاصابع وتأثير العظم . فخلعنا بعض اثوابنا والبسونا القفافيز ووقفت تجاه بلدوك استعداداً للنزال ثم اعطى احد الحضور الاشارة فاطبق بعضنا على بعض . ولا انكر اني شعرت بقشعريرة اصابتني في تلك الدقيقة لم اشعر بها قط في جميع اصناف المبارزة التي دخلت فيها مدة حياتي لانهُ لو كان في يدي سيف او غدارة لعلمت كيف استعملهما واما ان تربط يداي ويطلب مني ان اصرع انكليزيّاً كبير الجسم كالبرميل فان ذلك فوق ما كنت انتظر ولا سيما وان اللرد رفتون قال لي ان الرفس ممنوع في الملاكمة والا لكنت برفسةٍ واحدة من حذائي المحدّد تغلبتُ عليهِ ، وتأملت خصمي فوجدت لهُ اذنين طويلتين فتمنيت ان تكون اصابعي غير مقيدة

لاقبض عليهما والقيهُ الى الارض . ولما أُعطيت الاشارة ابتدأنا بالملاكمة فكانت ضرباتهُ تقع على اضلعي وكتفي ورأسي فلم اهتم بألمها لانهُ لم يكن شديداً ولكن تعلمت منهُ اين يجب ان يكون الضرب فهاجمتهُ وضايقتهُ وسنحت لي منهُ فرصة اغتنمتها للحال فألقيتهُ بلكمةٍ الى الارض وجثوت على صدرهِ . فارتفع صياح الاعجاب بين الحضور وجعلوا يراهنون على فوزي . ولما نهض بلدوك رأيت في عينيهِ نيران الغيظ فتبسمت واظهرت اللطف والاستخفاف لان الرجل الفرنسوي يحارب ولا يحقد . ثم استأنفنا العراك فتمكن من القبض على عنقي بذراعهِ اليسرى واخذ يلكمني بيمناهُ حتى تضايقت فرفعت رأسي بحدة واستعنت عليهِ بلكمةٍ في جنبهِ الايسر دفعتها بقوة فارتفع بلدوك عن الارض وسقط عند قدمي اللرد رفتون ولم ينهض حتى كان قد انتهى الوقت المعين للملاكمة وهنأني الجميع على انتصاري

وكان للُّرد رفتون شقيقة تدعى اللادي جان داكر تسكن معهُ في القصر وتلاحظ شؤونهُ . وكانت تشعر بالوحدة وتتضايق من عشرآء اخيها الى ان جئت انا وتعرفت بها فأنست بي وكانت جميلة المنظر رقيقة الشعور تصبو الى كل ما هو سامٍ وعظيم . وزاد اعتبارها لي بعد تلك الملاكمة فكانت تزيد في مؤانستي وسرني ان ابقى بصحبتها اكثر من رفقآء اخيها لاني لم اتعود شرب ثلاث زجاجات من الوسكي بعد العشآء نظيرهم فكنت اتملص منهم واختلف الى غرفتها فنصرف ساعات تمر مر الدقائق اذ تجلس هي الى البيانو أو القيثار فتضرب بعض الاغاني الفرنسوية واغنيها أنا . وكنت ارى في حديثي معها ما يسليني عن فرقتي الهوسار التي كانت لا تفارق افكاري كل مدة اسري ولا سيما عند ما كنت اقرأ في الجرائد الانكليزية عن الحرب القائمة في البرتوغال والحدود الاسبانية والتي بكل اسف لم اتمكن من الوجود فيها بعد ان سقطت غنيمةً في يدي ولنتون . واذ اخبرتكم انني صرت صديقاً للادي داكر فقد صار من السهل عليكم ان تدركوا الباقي فاني تصرفت تصرف الشريف الفرنسوي وحافظت في معاشرتها على الادب فلم أظهر لها اقل ميل وامتلكت كل عواطفي كما يليق بالضيف في دار مضيفهِ . غير ان نظرات عينيَّ وحركات

اصابعي اذا وضعتها على كتاب الموسيقى كانت تفضح سرّي ولا اشك في انها عرفت ذلك لان للنسآء قدرة غريبة على مثل هذه الاكتشافات ولكنها لم تقل كلمة واحدة بل كثيراً ما كانت تجلس في غرفتها سابحةً في بحار التأمل والافتكار فاجلس الى جانبٍ اراقب هيئتها واعجب بجمالها فاذا تكلمتُ اراها تنتبه برعشةٍ كانها لم تكن تظنني موجوداً معها . وكم تمنيت ان اتمكن من الجثوّ امامها واطلاعها على حبي فردَّني عن ذلك ما بيننا من الاختلاف في المقام وكوني طريداً في بيتهـا غير انني كنت اترقب الفرص لخدمتها بكل استطاعتي

وفي صباح يومٍ رق هواؤهُ خرجت اللادي داكر في عربةٍ لتتنزه في احدى جهات دارتمور فخطر لي ان اسير الى تلك الناحية فارقب رجوعها وانال نظرة من وجهها الجميل فضلاً عن انتفاعي بالمشي في ذلك الصباح البارد . فخرجت اجد السير حتى بلغت ربوةً في تلك الطريق وادركني التعب فجلست على صخرٍ هناك وغرقت في تأملاتي . ولم يمضِ عليَّ اكثر من نصف ساعة حتى قرع اذني صوت عربة وصياح استغاثة فنظرت فاذا باللادي داكر تسوق جوادها وتحثهُ على السرعة بكل قدرتها وهي تلتفت الى ورآئها فعلمت انهُ يوجد من يتبعها ولكنني لم ارَ التابع من مكاني لانهُ كان محجوباً عني ورآء الرابية ولكنهُ ما عتم ان ظهر ممتطياً جوادهُ ومجدًّا في اثرها وهو يحاول ان يكلمها فلا تجيب

ولا تسألوا عن خفقان قلبي وسروري حينئذٍ ليس لانني رأيت اللادي داكر في ضيق بل لانني وجدت فرصةً اخدمها فيها فوثبت للحال من مكاني واندفعت اعدو الى جهة العربة ورأتني اللادي داكر فآنسها وجودي واستوقفت الجواد حالما صرت بالقرب منها . ونظرت الى الرجل فاذا بهِ في مقتبل الشباب حسن الهيئة فنظر اليَّ لحظةً وعاد الى مكالمة اللادي داكر بصوت منخفض و بسرعة كما يفعل الانكليز عموماً اذا كان لحديثهم اهمية . فقال قد قلت لكِ يا جان انكِ الوحيدة التي احبها فانسي ما مضى وتعالي اليَّ . قالت لا يا جورج ان هذا من المحال . فقال وقد صعد الدم الى وجههِ اماحان لكِ ان تصفحي عني . قالت كلا فانني لا اقدر ان انسى

الماضي . فقبض على معصمها بيدٍ حديدية وقال بلهجة التهديد قد مضى وقت التوسل وحان وقت الوعيد فيجب ان تصغي الى كلامي . واذ ذاك رفعت قبعتي وخاطبتها قائلاً هل يزعجكِ حضوري ايتها السيدة ام تسمحين لي ان اخدمكِ بشيء . فذهبت كلماتي ادراج الرياح لانهما لم ينتبها اليَّ بل كانت نظراتهما مشتبكة اشتباكاً شديداً ثم قال الرجل لا بدّ من الحصول على مطلبي بعد هذا الانتظار الطويل . قالت كلا لن يكون لك ذلك . فقال اهذا هو الجواب الاخير . قالت نعم . فترك يدها وصرَّ باسنانهِ وهو يردد بعض الشتائم ثم قال سنرى ما يكون

أما انا فلم اطق احتمال ذلك بل اخذت بعنان جوادهِ وقلت لهُ اسمح لي بكلمة يا هذا . فنظر اليَّ نظرة حادّة وقال اغرب ايها اللعين الى جهنم ثم وخز جوادهُ فطار بهِ كالبرق وابتعد عنا فوقفت كالحيران . أما اللادي داكر فتبسمت ثم مدت يدها وقالت اشكرك يا كولونيل جيرار على حسن قصدك . قلت وانا ارجو منكِ ان تعطيني اسم وعنوان هذا الوغد . قالت اياك وذلك فلا ينبغي ان يعرف احد بما جرى . قلتُ حاشا يا مولاتي ان يذكر اسمكِ في ما اقصد ان افعلهُ فان ارسالهُ اياي الى جهنم سبب كافٍ لان ادعوهُ الى المبارزة . قالت وانا اتوسل اليك ان تنسى كل ما جرى بحضورك وتقسم لي بشرفك ان لا يخطر في بالك شيء ضد هذا الرجل وتعالَ معي الآن الى القصر فأحدثك عن هذا الامر . ولما رقيت العربة وجلست الى جانبها قالت ربما لا تعلم يا صديقي انني متزوجة فهذا الفارس هو زوجي اللرد جورج داكر . وقد كان من امرهِ انهُ بعد زواجنا بسنتين ساءني باعمالٍ لا مقتضي لذكرها فتركتهُ واتيت الى بيت اخي اللرد رفتون فبقيت فيهِ الى اليوم ولذلك لا أحب ان يعلم اخي شيئاً عن هذه المقابلة لئلا يحدث بينهما ما لا أحب ان يكون . فقلت واذا نبتُ أنا عن اخيكِ في مبارزتهِ . قالت قد سألتك ان لا تذكر شيئاً من ذلك واعيد الحاحي الآن . فوعدتها بذلك وانا اردد تلك الحادثة في فكري وأود لو سمحت لي بأن اضع رصاصة في صدر ذلك الوحش لانهُ لا يليق ان يكون زوجاً لتلك الحمامة الوديعة وتمنيت ان لا اكون وعدتها بذلك . ثم خطر

لي انني سأُرسَل بعد اسبوع الى بليموث لابحر منها الى فرنسا فأنسى كل ذلك ولم يخطر لي قط انني سأحضر نهاية تلك الرواية واشخص فيها دوراً مهمًّا

وبعد تلك الحادثة بثلاثة ايام دخل اللرد رفتون الى غرفتي وقد بانت عليهِ ملامح الغيظ والانزجاج فقال هل رأيت اللادي جان يا جيرار . قلت لم ارَها الا في الصباح ونحن على الطعام . قال قد حدثت جناية في قصري يا جيرار فقد اخبرني احد رجال الشرطة انهُ رأى عربة يجرها جوادان كأنها تطير على الطريق وانهُ سمع منها صياح امرأة تستغيث وقد ارتفع صوتها على قعقعة الدواليب وفرقعة السوط وعلمت بعد هذا الخبر باختفآء شقيقتي جان فلا بد ان اللعين داكر قد اختطفها . ثم توقف بغتةً فقرع جرساً ولما حضر الخادم قال لهُ احضر جوادين في هذه اللحظة . ثم التفت اليَّ وقال تعال معي يا جيرار وهات غدارتيك فاما ان ترجع جان معي الليلة او ان يستولي على هذا القصر سيدُ سواي

وفي بضع دقائق كنت راكباً الى جانب اللرد نحث جوادينا لانقاذ تلك السيدة وقصدنا جهة البلدة التي يقطنها اللرد جورج داكر فكنا كلما اقتربنا نسمع خبر العربة المسرعة وصوت الاستغاثة . واحبّ اللرد رفتون ان يسلي نفسهُ فجعل يقص عليَّ حديث صهرهِ فاعلمني انهُ من اسرةٍ شريفة عريقة في النسب القديم ولكنهُ كان منغمساً في كافة اصناف الرذائل كالمسكر والمقامرة وما شاكل ذلك ثم اظهر توبةً واهتداآً فاقترن باللادي جان ولكنهُ ما ابطأ ان رجع الى عوائدهِ القديمة واعتاض عنها بعشيقةٍ فتركتهُ وعادت اليَّ وبقيت عندي الى اليوم . وتدل قرائن الاحوال انهُ احتال عليها فاختطفها أفلا ترى من العدل ان نتبعهُ ونخلص هذه الفريسة الطاهرة من يدي ذلك الوحش الضاري . وقبل ان اجيبهُ صاح بي قائلاً هوذا بيت هذا اللعين امامنا في وسط تلك الحديقة فسنترك جوادينا عند بابها ثم وخز جوادهُ واقتفيت اثرهُ فما عتمنا ان بلغنا سور الحديقة فترجلنا وربطنا الجوادين ورآء جدار هناك ثم انسللنا بين الاشجار الى ان قاربنا البيت فوقفنا نتأمل في ما يجب عملهُ وكيف نتمكن من مواجهة الاسيرة واطلاعها على وجودنا وقصدنا . وبعد قليل فُتح الباب

وخرج منهُ رجل عرفناهُ للحال انهُ اللرد داكر فتقدم خطوتين وصاح قائلاً تعال يا لرد رفتون ولا تختبئ ورآء الاشجار لئلا يظنك البستاني لصاً ويطلق عليك النار . فعجبنا من معرفتهِ بوجودنا وتقدم رفتون فتبعتهُ ورفعت قبعتي وحييت اللرد داكر فقال اهلاً بالفرنسوي ومرحباً فان لي معك ايضاً حساباً فتعاليا واتبعاني الى الداخل فننظر في حساباتنا بطريقة رسمية . ولما قال هذا سار امامنا فلم نتأخر عن اتباعهِ حتى دخلنا غرفة فسيحة . فقال داكر مخاطباً رفتون اظن يا عزيزي انهُ يجب قضآء الامور الاهلية بدون وجود اجانب فما شأن هـذا الفرنسوي وما دخلهُ في امر شقيقتك زوجتي . وقبل ان يجيبهُ رفتون قلت لهُ ليس الامر مما يختص بالزوجة والشقيقة فقط بل انني لحسن الحظ صديقٌ للسيدة المذكورة وعندي من الدم الفرنسوي الشريف ما يقضي عليَّ بان اساعدها اذا وقعت في ضيق واحميها من اعمال التوحش وان كان لا يرضيك هذا الكلام فدونك . ولما قلت هذا نزعت قفازي من يدي ورميتهُ بهِ . فتبسم تبسماً منكراً واخذ القفاز علامة قبولهِ المبارزة . ثم نظر الى رفتون وقال لهُ اراك اتيتني بوكيلٍ يدافع عنك وكنت اظنك آتياً لمناقشتي الحساب بنفسك فلا بأس . فقال رفتون هذا ما اتيت لاجلهِ وان يكن سبقني هذا الصديق فدونك قفازي ايضاً . فاخذهُ اللرد داكر وقال لا اتأخر عن مبارزتك بعد ان اقتل هذا اللعين فلن يترك احدنا هذه الغرفة الا محمولاً . ولما قال هذا فتح صندوقاً نحاسيًّا واخرج منهُ غدارتين وضعهما امامي وقال اختر لنفسك واحدة منهما فكلتاهما محشوتان واطلق انت اولاً واجتهد في قتلي لانك ان لم تفعل فانت مائت لا محالة . وكان في الغرفة مائدة كبيرة وقفت الى جانبها ووقف اللرد داكر الى الجانب المقابل . وخطر لي اذ ذاك امران شددا عزمي اولهما ان اللادي جان كانت تحاذر دخول اخيهـا في المبارزة والثاني حقدي على ذلك الوحش الضاري فعلمت انني ان قتلتهُ اكون قـد قدمت اعظم خدمةٍ لمضيفي . غير ان اللرد رفتون كان يحاول ان يمنعنا عن المبارزة ليبتدئ بها هو ولما رأى ان محاولتهُ لا تجدي نفعاً قال لداكر اذا كان لا بد من المبارزة فابقياها الى صباح الغد واحضرا الشهود لانهُ اذا قُتل احدكما ورآء هذه المائدة بدون شهود

للطرفين يعد عملكما مخالفاً للشريعة ويحسب القاتل متعمداً فلا ينجو من حكم الشريعة . اما نحن فكان قد بلغ التحمس منا حدهُ ولم يبقَ سبيلٌ الى كفّنا عما عزمنا عليهِ فقلنا لهُ اننا قابلان المبارزة كما هي وعلى علاتها فلا فائدة من الالحاح . ثم طلب منهُ اللرد داكر ان يعطينا العلامة لاطلاق الرصاص فابى قائلاً ما دامت المبارزة غير مستوفية الشروط فلا ادخل فيها لئلا اكون شريكاً للقاتل . فتأفف اللرد داكر وضغط على زر الجرس فدخل الخادم فقال لهُ ادعُ لي ضيفي الكولونيل بركلي للحال . وما خرج الخادم حتى دخل الغرفة رجل طويل القامة نحيف الجسم لهُ شاربان لم ارَ في كل انكلترا اكبر منهما الا بين فرسان الهوسار وكان عاضًّا على لفافةٍ سوداء كبيرة برزت من بين شعر شاربيهِ الكثيف بروز ساق الشجرة من بين العشب الملتفّ . فلما صار بيننا اطلعهُ اللرد داكر على سبب دعوتهِ فهز رأسهُ علامة الفهم . فقال لهُ اللرد رفتون اعلم يا حضرة الكولونيل ان شروط المبارزة غير متوفرة وانت المكلف باعطاء العلامة فاذا فعلت كنت انت المسؤول عما يحدث . فقال الكولونيل بالرزانة المشهورة ان الحالة الحاضرة غير عادية ولكنها طريقة غير شاذة ولا ارى ما يمنع حدوثها فانا مستعد لاكون مسؤولاً اذا دعت الحال الى ذلك

ولما اعيت اللرد رفتون الحيل قطب حاجبيهِ وانزوى في بعض جهات الغرفة . فتقدم الكولونيل وفحص الغدارتين ثم اخذت احداهما واخذ داكر الاخرى ووقفنا على طرفي المائدة وبيننا ثماني اقدام ووقف الكولونيل الى جانب وهو ممسكٌ لفافتهُ بيسراهُ ورافعٌ يمناهُ بمنديلٍ فقال متى اسقطت هذا المنديل فعلى كلٍّ ان ينحني فيلتقط غدارتهُ ويطلقها للحال افأنتما مستعدّان . فأجبناهُ نعم . وللحال فتح يدهُ فسقط المنديل الى الارض وانحنينا لنأخذ الغدارتين وكانتا موضوعتين على وسط المائدة ومن غرائب الاتفاق ان اللرد داكر كان اطول مني قامةً فسبقني ببضع ثوان وتمكن من اخذ الغدارة واطلاقها قبل ان انتصبت تماماً فمرت الرصاصة فوق رأسي ولامست شعري . فحمدت الله على قصر قامتي الذي لولاهُ لكنت من زمنٍ بعيد مدفوناً في تلك الارض الباردة وحرمتم سماع هذه القصة

ولما تحققت ذلك رفعت يدي لاطلق في نوبتي واذا بالباب قد فتح بسرعة البرق وشعرت بذراعين التفّتا على يديّ بشدة فمنعتاني الاتيان بحركة . ونظرت فاذا باللادي جان نفسها تتوسل اليّ ان لا اطلق الغدارة وهي تقول ارحموني ففي الامر عدم تبصر وسوء فهم فان هذا الرجل أعزّ عزيز لي وهو زوجي المحبوب فلن افارقهُ بعد الآن . ولما قالت هذا قبضت على غدارتي فتركتها لها مدهوشاً . اما اللرد رفتون فنظر اليها وقال يا جان يا شقيقتي العزيزة تعالي معنا لانهُ لا يليق بكِ البقآء هنـا . قالت عدوني بالشرف و بكل عزيز عندكم انكم لا تدعون الكولونيل جيرار يطلق غدارتهُ . فقال اللرد داكر اتركيهِ يا عزيزتي جان يتمم المبارزة لانهُ ثبت امام طلق غدارتي كرجل فيجب عليّ الثبوت امامهُ لتحصل المساواة مهما كلفني الامر . وكنت قد اشرت الى اللادي جان بطرفٍ خفي ففهمت مرادي وتركت لي الغدارة قائلةً انني اترك حياة زوجي وسعادتي العظمى تحت تصرف الكولونيل جيرار

أما انا فصوبت غدارتي الى اللرد داكر معجباً بذكآء جان وقدرتهـا على فهم معناي وثبوت زوجها ومقابلتهِ الرصاص بشجاعة . والحّ عليّ اللرد داكر ان انجز عملي حالاً اما انا فكنت قد صممت على ان لا اصيبهُ بأذى ولكن احببت ان اريهم مهارتي في اطلاق الرصاص فحولت نظري الى الغرفة لارى غرضاً ارميهِ امامهم فرأيت اللفافة في فم الكولونيل بركلي وقد ادار وجههُ الى جهة خصمي فاغتنمت الفرصة وبأسرع من لمح البصر صوبت الغدارة واطلقتهـا قائلاً اسمح يا حضرة الكولونيل ان انزع لك الرماد من لفافتك . واصابت الرصاصة اللفافة فأطارت رمادها ونحو قيراطٍ من طرف اللفافة . اما هو فارتعش شديداً ثم تمالك وكأنهُ غاظهُ فعلي فاندفع بكلامٍ قبيح لم انتظر سماعهُ حتى قال لهُ اللرد داكر اقصر يا حضرة الكولونيل عن هذا الكلام ولا تنسَ ان في الغرفة سيدة لا يليق التفوه بهذا الكلام امامها . فخجل الرجل ثم نظر الى اللادي جان فقال اسألكِ يا مولاتي مغادرة الغرفة فلي كلامٌ اقولهُ لهذا الفرنسوي الجهنمي . أما انا فأدركت ان لا بد من المداخلة فقلت لهُ اني اعتذر اليك يا سيدي عما سببتهُ لك من الارتعاش ولكنني علمت اني ان لم

اطلق غدارتي اكون قد احتقرت شرف اللرد داكر وان اطلقتها عليهِ فلا بد من قتلهِ وهذا ما نهتني عنهُ زوجتهُ فنظرت في الغرفة لاجد غرضاً ارميهِ فأريكم مهارتي واجتنب اهانة اللرد واهانتي فرأيت لفافتك وقد علاها الرماد فنزعتهُ برصاصتي وانا آسف ان الغدارة قد خانتني هذه المرة فأخذت معها قسماً من اللفافة ايضاً . اما وقد اوضحت لك الامر فأنت حرٌّ في ان تعذرني أو ان تطلب مني الترضية التي لا اتأخر عن تقديمها

وكانت كلماتي والهيئة التي قلتها فيها قد غيرت طبائع الجميع فتبسموا معجبين بي وتقدم اللرد داكر فصافحني قائلاً لم يخطر لي قط ان احب فرنسويًّا كما صرت احبك الآن . اما اللرد رفتون فكان في ضغطهِ على يدي ما يغني عن الكلام حتى ان الكولونيل بركلي نفسهُ اثنى عليَّ ووعد انهُ لا يستآء من خسارة لفافتهِ . اما اللادي جان فانها نظرت اليَّ بعيون ملؤها الشكر والاعجاب

وكان قد حان وقت الطعام فدعوني لتناولهِ معهم فرفضت بالضرورة لانهُ لم يكن يليق ان ابقى هناك لا أنا ولا اللرد رفتون لان الزوجين اللذين قد تصالحا يجب ان يبقيا منفردين . وعلمت بعد ذلك ان اللرد داكر لما اختطف زوجتهُ اقنعها في الطريق بتوبتهِ التامة وقدم لها البراهين الاكيدة على حبهِ واخلاصهِ . وهكذا انتهت تلك الحادثة بوفاقهم وسرورهم وقد سمعت بعد ذلك بسنين ان قصر اللرد داكر اصبح اسعد واهنأ قصر في انكلترا للوفاق التام بين اللرد وزوجتهِ

وفي الوقت المعين لي عدت الى فرنسا وانا غير ناسٍ ما صادفني في تلك الضيافة كما اعتقدت ان اللادي جان لم تنسَ جيرار وانها بقيت الى الممات حافظةً لهُ محلاً صغيراً في بعض زوايا قلبها . ولكن ما لي ولكشف اسرار السيدات فان اللادي جان قد توفيت من امدٍ بعيد ولعلَّ كل اولئك الاصحاب قد تفرقوا ولم يبقَ للادي جان ذكر الاّ ما حفظهُ في قلبهِ هذا الشخص الواقف امامكم والذي لن ينساهُ ابداً